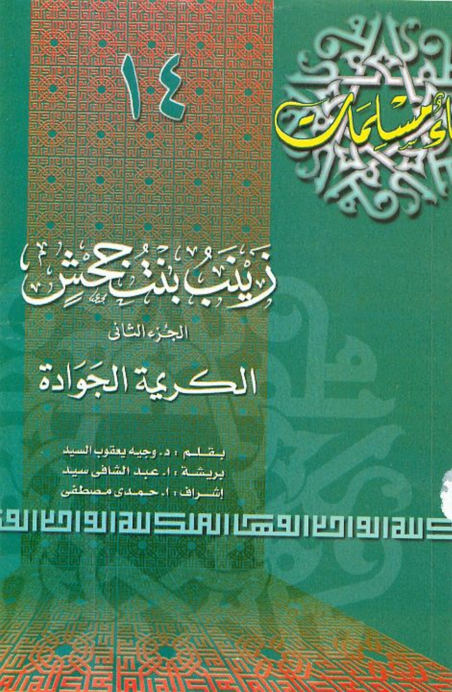


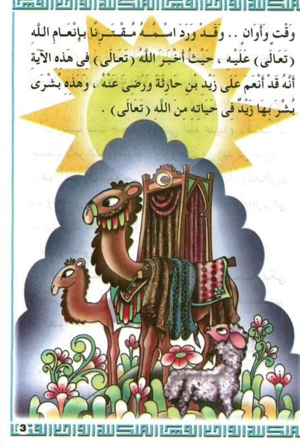
١٤
مسلمات
زينب بنت جحش
الجزء الثاني
الكريمة الجوادة
بقلم : د. وجيه يعقوب السيد
بريشة : أ. عبد الشافى سيد
إشراف : أ. حمدى مصطفى

تزوّجَ الرَّسُولُ ﷺ من زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ بِأَمْرٍ مِنَ السَّمَاءِ ، وكَانَ ذلكَ لحِكْمَةٍ بالغَةٍ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يُظْهِرَها للنَّاسِ .

فَقَدْ كَانَ مِنْ عَادَةِ العَرَبِ قَبْلَ الإِسْلامِ أَنْ يَتَبَنَّوُا الأَبْنَاءَ وَيَنْسُبُوهُمْ لأَنْفُسِهِمْ ، وكَانَ هؤُلاءِ الأَبْنَاءُ بالتَّبَنِّى يَحْمِلُونَ أَسْمَاءَ أَصْحَابِهِمْ ، وَيَرِثُونَهُمْ بَعْدَ مَوْتِهِمْ ، وكَانَ هذَا التَّبَنِّى يَتَسَبَّبُ فِى مَشَاكِلَ اجْتِماعيَّةٍ كثيرةٍ ، فَأَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَضَعَ حَدًّا لِهذهِ الظَّاهِرَةِ ، فَأَمَرَ اللَّهُ رَسُولَهُ ﷺ بالزَّوَاجِ من امرأةِ مُتبنَّاهُ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ ، وذلكَ أَبْلَغُ فِى تَعْلِيمِ المُسْلمينَ أَحْكَامَ الدينِ الْجَدِيدَةَ ؛ لأَنَّ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ قَدْ قَصَّ عَلَيْهِمُ الْقِصَّةَ بِكَامِلِهَا .

وَقَدْ كَافَأَ اللَّهُ زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ وَزَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشٍ رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، فَزَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ هُوَ الصَّحَابِىُّ الْوَحِيدُ الَّذى وَرَدَ ذِكْرُهُ فِى الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ، يَتْلُوهُ الْمُسْلِمُونَ فِى كُلِّ

وَقت وَأوَان .. وقَدْ وَرَدَ اسْمُهُ مُقْتَرِنًا بإنْعَامِ اللّه (تَعَالَى) عَلَيْهِ ، حَيْثُ أَخْبَرَ اللّهُ (تعَالَى) في هَذه الآيَة أنَّهُ قَدْ أنْعَمَ عَلَى زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ وَرَضِيَ عَنْهُ ، وَهَذِهِ بُشْرَى بُشِّرَ بِهَا زَيْدٌ في حَيَاته من اللّه (تَعَالَى) .



قَالَ (تَعَالَى) :

﴿ وإِذْ تَقُولُ لِلَّذِى أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ .. ﴾

[سورة الأحزاب : ٣٧]

أَمَّا زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ (رَضِىَ اللَّهُ عَنْهَا) ، فَبَعْدَ أَنِ امْتَثَلَتْ لأَمْرِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَتَزَوَّجَتْ مِنْ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ ، بِرَغْمِ الْفَوَارِقِ بَيْنَهُمَا ، فَقَدْ كَافَأَهَا اللَّهُ (تَعَالَى) بِالزَّوَاجِ مِنْ سَيِّدِ الْبَشَرِيَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ ، وَأَنْزَلَ فِى شَأْنِهَا قُرْآنًا يُتْلَى فِى كُلِّ زَمَانٍ ..

قَالَ (تَعَالَى) :

﴿ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَىْ لاَ يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِى أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولاً ﴾

[سورة الأحزاب : ٣٧]

وَلِذَلِكَ سَجَدَتْ زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ شَاكِرَةً لِلَّهِ ، حِينَ بُشِّرَتْ بِالزَّوَاجِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِأَمْرٍ صَرِيحٍ مِنَ اللَّهِ

(تعَالَى) مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَاوَاتٍ .

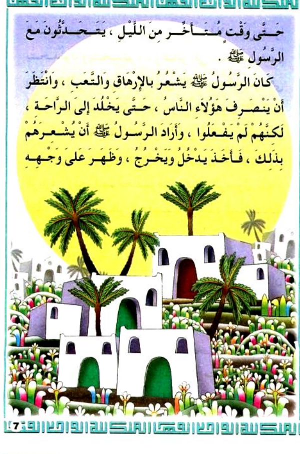
وكَانَتْ زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ تَقُولُ لِلرَّسُولِ ﷺ فِي فَخْرٍ :

ـ يَا رَسُولَ اللَّه ، إِنِّي وَاللَّه مَا أَنَا كَإِحْدَى نِسَائِكَ .. لَيْسَتِ امْرَأَةٌ مِنْ نِسَائِكَ إِلاَّ زَوَّجَهَا أَبُوهَا أَوْ أَخُوهَا

أَوْ أَهْلُهَا .. أَمَّا أَنَا فَقَدْ زَوَّجَكَ اللَّهُ مِنِّى مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَاوَاتٍ .

وَبَدَأَتْ زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ حَيَاتَهَا الْجَدِيدَةَ فِى بَيْتِ النَّبِىِّ ﷺ ، وَفِى تِلْكَ اللَّيْلَةِ الَّتِى تَزَوَّجَتْ فِيهَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، أَنْزَلَ اللَّهُ (تَعَالَى) حُكْمَ الْحِجَابِ ، حَيْثُ كَانَ الْمُسْلِمُونَ يَرَوْنَ زَوْجَاتِ النَّبِىِّ ﷺ وَيَتَحَدَّثُونَ إِلَيْهِنَّ ، إِلَى أَنْ جَاءَتْ هَذِهِ الْمُنَاسَبَةُ الَّتِى أَنْزَلَ اللَّهُ (تَعَالَى) فِيهَا أَمْرًا مِنَ السَّمَاءِ بِأَلاَّ يَنْظُرَ أَحَدٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَى زَوْجَةٍ مِنْ زَوْجَاتِ النَّبِىِّ وَأَلاَّ يُكَلِّمَهَا إِلاَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ .

وَكَانَ السَّبَبُ فِى ذَلِكَ ، أَنَّ الرَّسُولَ ﷺ ، دَعَا الْمُسْلِمِينَ إِلَى وَلِيمَةٍ أَعَدَّهَا بِمُنَاسَبَةِ زَوَاجِهِ مِنْ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ ، وَتَوَافَدَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ تَعْبِيرًا عَنْ سَعَادَتِهِمْ بِزَوَاجِ الرَّسُولِ ﷺ ، وَبَعْدَ الانْتِهَاءِ مِنَ الطَّعَامِ ، انْصَرَفَ جَمَاعَةٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، وَبَقِىَ آخَرُونَ



حَتَّى وَقْتٍ مُتَأَخِّرٍ مِنَ اللَّيْلِ ، يَتَحَدَّثُونَ مَعَ الرَّسُولِ ﷺ .

كَانَ الرَّسُولُ ﷺ يَشْعُرُ بِالإِرْهَاقِ وَالتَّعَبِ ، وَانْتَظَرَ أَنْ يَنْصَرِفَ هَؤُلاءِ النَّاسُ ، حَتَّى يَخْلُدَ إِلَى الرَّاحَةِ ، لَكِنَّهُمْ لَمْ يَفْعَلُوا ، وَأَرَادَ الرَّسُولُ ﷺ أَنْ يُشْعِرَهُمْ بِذَلِكَ ، فَأَخَذَ يَدْخُلُ وَيَخْرُجُ ، وَظَهَرَ عَلَى وَجْهِهِ

الضِّيق ، وبرغم ذلك لم ينصرف هؤلاء ، بل بقوا يتحدثون ويتحدثون ، وكانوا فى أثناء حديثهم ينظرون إلى ما فى بيت النبى ﷺ ، ويتكلمون فى أمور تخص النبى ﷺ وأهله ، ولأن الرسول ﷺ كان شديد الحياء ، فقد تحمل الأمر وسكت ، لكن الله (تعالى) أراد أن يؤدب المسلمين ويعلمهم آداب الزيارة ، ويعرفهم بخصوصية بيت الرسول ﷺ ، فأنزل الله (تعالى) عليهم فى هذه المناسبة ما يعلمهم ذلك ..

قال (تعالى) :

﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِىِّ إِلاَّ أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلاَ مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى النَّبِىَّ فَيَسْتَحْيِى مِنْكُمْ وَاللَّهُ لاَ يَسْتَحْيِى مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ

﴿ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا ﴾

[سورة الأحزاب : ٥٣]

وَاسْتَبْشَرَ الْمُسْلِمُونَ خَيْرًا بِنُزُولِ آيَةِ الْحِجَابِ فِى هَذِهِ اللَّيْلَةِ الْمُبَارَكَةِ الَّتِى تَزَوَّجَ فِيهَا النَّبِىُّ ﷺ مِنْ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ .

فَقَدْ كَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ بِبَصِيرَتِهِ الثَّاقِبَةِ ، يَرْجُو أَنْ يَفْرِضَ اللَّهُ (تَعَالَى) الحِجَابَ عَلَى نِسَاءِ النَّبِيِّ ﷺ ، فَكَانَ يَقُولُ لِلنَّبِيِّ ﷺ :

ـ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، يَدْخُلُ عَلَيْكَ الْبَرُّ وَالْفَاجِرُ ، فَلَوْ أَمَرْتَ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ بِالحِجَابِ !

لَكِنَّ الرَّسُولَ ﷺ كَانَ لاَ يَفْرِضُ شَيْئًا إِلاَّ إِذَا أَمَرَهُ اللَّهُ (تَعَالَى) بِذَلِكَ ، فَانْتَظَرَ حَتَّى أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ آيَةَ الْحِجَابِ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ الْمُبَارَكَةِ ..

وَلاَ شَكَّ أَنَّ لَنَا فِي نِسَاءِ النَّبِيِّ ﷺ أُسْوَةً حَسَنَةً ، حَيْثُ إِنَّهُ يَجِبُ عَلَى الْمَرْأَةِ وَالْفَتَاةِ أَنْ يَحْتَشِمْنَ فِي لِبْسِهِنَّ وَكَلاَمِهِنَّ ، فَذَلِكَ أَطْهَرُ لِقُلُوبِهِنَّ .

وَالَّذِي يَتَأَمَّلُ حَالَ الْمُجْتَمَعِ الْيَوْمَ ، وَمَا وَصَلَ إِلَيْهِ حَالُ الْمَرْأَةِ الْمُسْلِمَةِ مِنَ ابْتِذَالٍ فِي الْمَلْبَسِ وَالْكَلاَمِ ، يُدْرِكُ الْحِكْمَةَ الإِلَهِيَّةَ مِنْ فَرْضِ الْحِجَابِ عَلَى الْمَرْأَةِ ؛ وَالْحِجَابُ لَيْسَ قَيْدًا عَلَى الْمَرْأَةِ وَحُرِّيَّتِهَا ، وَلَكِنَّهَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تُمَارِسَ حَيَاتَهَا بِشَكْلٍ طَبِيعِيٍّ وَهِيَ مُرْتَدِيَةٌ الْحِجَابَ ، وَلَيْسَ الْحِجَابُ حِجَابَ الظَّاهِرِ فَقَطْ ، وَلَكِنَّهُ

حجابُ الْباطِنِ أَيْضًا ، حَيْثُ يَجِبُ عَلَى الْمَرْأَةِ أَنْ تَكُونَ مُحْتَشِمَةً فِى جَوْهَرِها ، كَما هِىَ فِى مَظْهَرِها ، وَهَذا هُوَ ما يُرِيدُهُ اللَّهُ (تَعالَى) لَنا ، حَيْثُ إِنَّ الْمُجْتَمَعَ يَصِلُ بِذَلِكَ إِلَى بَرِّ الْأَمانِ .

وَاشْتُهِرَتْ زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ بِالنَّفَقَةِ وَالتَّصَدُّقِ عَلَى الْفُقَراءِ ، وَكانَتْ ماهِرَةً فِى صِناعَةِ الْمَلابِسِ ، فَكانَتْ



تَتَصَدَّقُ بِثَمَنِهَا عَلَى الْفُقَرَاءِ وَالْمُحْتَاجِين ، وَذَاتَ يَوْمٍ سَأَلَ نِسَاءُ النَّبِيِّ النَّبِيَّ ﷺ :

ـ أَيُّنَا أَسْرَعُ لِحَاقًا بِكَ يَا رَسُولَ اللَّه ؟

فَأَجَابَهُمُ الرَّسُولُ ﷺ :

ـ أَطْوَلُكُنَّ يَداً .

وَرَاحَتْ كُلُّ زَوْجَاتِ النَّبِيِّ ﷺ تَقِيسُ يَدَهَا ، وَلَمْ يَفْهَمْنَ مَاكَانَ يَرمِي إِلَيْهِ الرَّسُولُ ﷺ إِلاَّ بَعْدَ وَفَاتِه ، حَيْثُ كَانَتْ زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ أَسْرَعَهُنَّ لِحَاقًا بِالرَّسُولِ ﷺ ، وَعِنْدَئِذٍ قَالَ نِسَاءُ النَّبِيِّ ﷺ :

ـ لَقَدْ كَانَ ﷺ يَقْصِدُ بِطُولِ الْيَدِ : الْكَرَمَ وَالْجُودَ وَالتَّصَدُّقَ عَلَى الْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِين .

وَبَعْدَ وَفَاةِ الرَّسُولِ ﷺ ، كَانَ الْخُلَفَاءُ مِنْ بَعْدِه يُعْطُونَ لِلْمُسْلِمِين رَوَاتِبَ سَنَوِيَّةً لِكَيْ يُنْفِقُوا مِنْهَا عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَأَبْنَائِهِمْ ، وَكَانَ رَاتِبُ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ اثْنَى عَشَرَ أَلْفَ دِرْهَمٍ ، فَكَانَتْ تَقُولُ :

ـ اللَّهُمَّ لاَ يُدْرِكُنِي هَذَا الْمَالُ مِنْ قَابِلٍ فَإِنَّهُ فِتْنَةٌ .

ثُمَّ تُوَزِّعُهُ عَلَى أَقَارِبِهَا وَعَلَى الْفُقَرَاءِ وَالْمُحْتَاجِينَ ، وَعِنْدَمَا عَلِمَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ بِذَلِكَ ، ذَهَبَ إِلَيْهَا وَأَرْسَلَ بِالسَّلَامِ وَقَالَ لَهَا :

ــ يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ ، بَلَغَنِي أَنَّكِ وَزَّعْتِ مَالَكِ عَلَى أَهْلِ رَحِمِكِ وَفِي أَهْلِ الْحَاجَةِ .

فَقَالَتْ :

ــ لَا يَبْقَى لِلْمَرْءِ بَعْدَ مَوْتِهِ إِلَّا دِرْهَمٌ أَنْفَقَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ .



فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ :

ـ هَذِهِ أَلْفُ دِرْهَمٍ ، فَاسْتَبْقِيهَا لِنَفْسِكِ وَحَاجَتِكِ .

فَشَكَرَتْهُ زَيْنَبُ عَلَى ذَلِكَ ، وَأَخَذَتْ مِنْهُ الْمَالَ ، ثُمَّ لَمْ يَطْلُعْ عَلَيْهَا النَّهَارُ إِلاَّ وَقَدْ تَصَدَّقَتْ بِهِ عَلَى الْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ ، وَلَمْ تُبْقِ لِنَفْسِهَا دِرْهَمًا وَاحِدًا . .

وَكَانَتْ زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كَثِيرَةَ الْعِبَادَةِ لِلَّهِ ، تُدَاوِمُ عَلَى الذِّكْرِ وَالاسْتِغْفَارِ ، وَقَدْ شَهِدَ لَهَا بِذَلِكَ الرَّسُولُ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ ، وَبَيْنَمَا كَانَ الرَّسُولُ ﷺ يُقَسِّمُ الْغَنَائِمَ عَلَى الْمُهَاجِرِينَ ، إِذْ تَكَلَّمَتْ زَيْنَبُ بِكَلاَمٍ أَغْضَبَ الرَّسُولَ ﷺ ، فَانْتَهَرَهَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، فَقَالَ لَهُ ﷺ :

ـ خَلِّ عَنْهَا يَا عُمَرُ ، فَإِنَّهَا أَوَّاهَةٌ !

وَظَلَّتْ زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ صَوَّامَةً قَوَّامَةً ، تَخْشَى اللَّهَ (تَعَالَى) فِي كُلِّ أُمُورِهَا ، وَتَتَصَدَّقُ عَلَى الْفُقَرَاءِ وَالْمُحْتَاجِينَ ، حَتَّى صَعِدَتْ رُوحُهَا إِلَى بَارِئِهَا فِي الْعَامِ الْعِشْرِينَ لِلْهِجْرَةِ .



وَحِينَ حضَرتْهَا الْوَفَاةُ ، لَمْ تَنْسَ التَّصدُّقَ عَلَى الْفُقَرَاءِ ، فِي تِلْكَ اللَّحظَاتِ الصَّعْبَةِ ، الَّتِي يَنْسَى الإِنْسَانُ فِيهَا كُلَّ شَيْءٍ ، فَقَدْ قَالَتْ لِمَنْ حوْلَهَا :

ـ إِنِّي قَدْ أَعْدَدْتُ كَفَنِي ، وَإِنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ، سَيَبْعَثُ إِلَيَّ بِكَفَنٍ ، فَتَصَدَّقُوا بِأَحَدِهِمَا ، وَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَتَصدَّقُوا بِإِزَارِي فَافْعَلُوا .

وَصَلَّى عَلَيْهَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، وَوَدَّعَهَا

الْمُسْلِمُونَ إلى مَثْواهَا الأخِيرِ بِالْبَقِيعِ بِالْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ ، وَقَالَتْ عَنْهَا عَائِشَةُ رضى اللَّه عنها :

ـ ذَهَبَتْ حَمِيدَةً مُتَعَبِّدَةً ، مَفْزَعِ الْيَتَامَى وَالأَرامِلِ .

وَقَالَتْ عَنْهَا أُمُّ سَلَمَةَ رضى اللَّهُ عَنْهَا :

ـ كَانَتْ صَالِحَةً قَوَّامَةً ، تَعْمَلُ بِيَدَيْهَا وَتَتَصَدَّقُ بِذَلِكَ كُلِّهِ .

رَحِمَ اللَّهُ زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشٍ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ ، وَنَفَعَنَا بِسِيرَتِهَا الْعَطِرَةِ ، حَيْثُ عَاشَتْ فِى كَنَفِ النَّبِىِّ ﷺ صَوَّامَةً قَوَّامَةً مُطِيعَةً لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ ، مُحِبَّةً لِلْخَيْرِ وَالإِحْسَانِ .. وَلَعَلَّ أَفْضَلَ مَا نُوَدِّعُهَا بِهِ مَا قَالَتْهُ عَنْهَا السَّيِّدَةُ عَائِشَةُ رَضِىَ اللَّهُ عَنْهَا :

ـ وَلَمْ أَرَ امْرَأَةً قَطُّ خَيْرًا فِى الدِّينِ مِنْ زَيْنَبَ ، وَأَتْقَى لِلَّهِ وَأَصْدَقَ حَدِيثًا وَأَوْصَلَ لِلرَّحِمِ وَأَعْظَمَ صَدَقَةً ، وَأَشَدَّ إِخْلاصًا وَتَفَانِيًا فِى الْعَمَلِ الَّذِى تَتَقَرَّبُ بِهِ إِلَى اللَّهِ ..

رَحِمَهَا اللَّهُ رَحْمَةً وَاسِعَةً ، وَنَفَعَ نِسَاءَنَا وَبَنَاتِنَا بِسِيرَتِهَا الْعَطِرَةِ الزَّكِيَّةِ ، فَنِسَاءُ النَّبِىِّ ﷺ هُنَّ الْمَثَلُ الأَعْلَى لِكُلِّ النِّسَاءِ ، وَحَيَاتُهُنَّ مَلِيئَةٌ بِالْعِظَةِ وَالاعْتِبَارِ .. فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ ؟!

(يتبع)

الكتاب القادم

جويرية بنت الحارث

رقم الإيداع : ٢٠٠١/١٥٩٤٨

الترقيم الدولى : X ـ ٦٨٨ ـ ٢٦٦ ـ ٩٧٧